مذهب النشوء وحرية الفكر

ذكرنا في مقتطف الشطر الماضي صفحة ٢٤٨ كلاماً موجزاً على محاكمة المستر سكوبس في بلدة صغيرة اسمها ديتون بولاية تنسي من اعمال الولايات المتحدة الاميركية لانهُ خالف شروط المدرسة التي يدرّس فيها وقوانين الولاية التي تقضي بان يعلم المعلمون في مدارس الحكومة بصحة الاصحاح الاول من سفر التكوين . وجئنا في آخر الكلام على الحقائق العلمية التي قرّرتها لجنة من اكبر العلماء الاميركيين لتكون دفاعاً عن الاستاذ سكوبس من الوجه العلمي

بدأت المحاكمة في ١٠ يوليو فامّ بلدة ديتون الوف من الناس و يبهم جمهور جلب من مكاتب الصحف الكبيرة التي جعلت لهذه المحاكمة من الضجة والاعلان ما لم يسبق لهُ مثيل في تاريخ العلم . وكان زعيم القائمين على محاكمة الاستاذ سكوبس المستر وليم جننز برين[1] السياسي الاميركي الشهير والخطيب المفوّه الذي توفي بعيد انتهائها . وقد حكمت المحكمة بادانة المدّعى عليه لانهُ خالف نصّ القانون ولم تنظر في المسألة من الوجهة العلمية مع ان المناقشة بين الاتهام والدفاع دارت على امور علمية كثيرة اهمها ما دار بين المستر برين والمستر دارو احد كبار المحامين الذي وكل اليهِ امر الدفاع عن المتهم . وكانت غاية المستر دارو ان يظهر عجز المستر برين عن الحكم في امور علمية كبيرة الشأن لعدم اطلاعهِ عليها وليستدرج منهُ اقراراً بان الكتاب المقدس لا يصح ان يكون كتاب تدريس للعلم رغماً عما لهُ من القيمة العظيمة ككتاب ديني

ولا يخفى ان الدعوة الى مقاومة اصحاب النشوء ومنع تدريس هذا المذهب في المدارس

---

١) ولد المستر وليم جننز برين في ماريس سنة ١٨٦٠ وتخرج في كلية الينوي سنة ١٨٨١ ثم درس القانون وماريس المحاماة . وخاض غمار السياسة فرشح ثلاث مرات عن الحزب الديمقراطي لرئاسة الجمهورية فلم يفز في احداها . وقد كان من اكبر اركان هذا الحزب الى آخر ايامه وساعده وحسن في انتخابه الاول لجمعولسن وزير الخارجية واستقال من هذه المنصب قبيل دخول اميركا في الحرب لانه من اكبر انصار السلام . زار هذا القطر سنة ١٩٠٦ وتسمّاه يخطب فدا به صاحب « الصوت الذهبي » كما يسمونه في بلاده لبلاغته وشدة عارضته . على انه لم يكن من كبار المجلين على غوامض المسائل الاقتصادية والدينية . وكانت وفاته بديتون في اواخر يوليو الماضي ودفن في المدفن الوطني بوشنطن باحتفال رسمي

والكليات باميركا دعوة كبيرة الشأن منتظمة العمل يؤيدها كثيرون من اصحاب المصالح بالمال الوافر وقد فاز اصحابها في ولايتي اوكلاهوما وتنسي بسن قانون يمنع تعليم مذهب النشوء منعاً باتاً في مدارس الحكومة بهاتين الولايتين . واقترح بعضهم سن قانون مماثل في ولاية تكساس وآخر في ولاية كنتكي فخذلوا في الولايتين باكثرية قليلة جداً . وقد قرر مجلس ولاية فلوريدا ان يشير على رجال التعليم فيها بان لا يسمحوا المجال في مدارسهم للمعلمين الذين يعلمون مذهب داروين . ولا يزال اصحاب دعوة المنع فيها يحاولون اقناع المجلس بوجوب القضاء على هذا المذهب في المدارس قضاءً مبرماً . كذلك نرى ان ولاية جورجيا على خلو قوانينها من نص يمنع تعليم مذهب النشوء في مدارسها رفضت ان تمد الكليات والمدارس التي تعلمه بالمال ، وحبست مساعدتها المالية عن مكتبة للحكومة لانها تحوي كتباً في هذا الموضوع . وقد نشط اهل هذه الدعوة للعمل في ثماني ولايات من الولايات المتحدة الاميركية اكثرها في الجنوب والغرب ورفعوا الى المجالس النيابية فيها مشاريع قوانين تقضي بمنع مذهب النشوء . ولا نعلم ماذا يكون من امرها بعد محاكمة سكوبس وقيام العلماء قومة واحدة للاحتجاج على هذه القيود التي يقيد بها البحث والتعليم

هذا وقد استطلعت مجلة ناتشر العلمية الشهيرة آراء نفر من كبار العلماء ومديري المعاهد العلمية واساتذة اللاهوت واساقفة الكنائس في هذا الموضوع فبعثوا اليها بارائهم بين مسهب وموجز فاقتطفنا منها ما يلي

رأي الاستاذ مكبريد

استاذ علم الحيوان في كلية العلم والفن الامبراطورية بسوث كنسنجتن

ان الحركة الغريبة التي نشاهدها في اميركا وغايتها منع التعليم بمذهب النشوء في المدارس والجامعات حركة واسعة المدى تدعمها قوة كبيرة فلا نستطيع ان نحسبها ظاهرة بسيطة من ظواهر التعصب الفكري . ان السواد الاعظم من الناس في اميركا وغيرها لا تهمهُ الامور العلمية الاَّ اذا كان لها علاقة عملية بامور المعيشة . وعامة الاميركيين تعتقد وترجح ان مذهب النشوء كما يُعلَّم في مدارس اميركا وكلياتها لا يأتي بالفائدة المنشودة ويبعد بهذه المعاهد عن تحقيق الاغراض التي ترمي اليها وهذا هو السبب في مقاومتها لهُ

اما الدليل الذي يستند اليهِ مقاومو مذهب النشوء ويعرفون هناك بالاصوليين او اهل النص "fundamentalists" فيلخص فيما يلي : يقولون ان هذه المدارس والكليات

التي يحاولون منعها عن تعليم مذهب النشوء اسسها رجال نشأوا على التقاليد المسيحية كما يفهمون احكامها فهماً حرفياً وان هذه المعاهد هي التي ربّت الخلق الاميركي الذي نفاخر به. اما الغاية التي انشئت هذه المعاهد لتحقيقها فتربية الناس ليقوموا بما عليهم للمجتمع وليست حشو ادمغتهم بالحقائق المجردة. على ان تعليم مذهب النشوء في اميركا قاد الشبان الى ان ينظروا الى الحياة نظراً مادياً ميكانيكياً. فيجعلهم هذا المذهب يعتقدون ان الناس فقاقع زائلة وليس لهم مقام خاص في نظام الكون وان معتقداتنا الادبية هي اثر من عادات القبائل في قديم الزمان وليس لها سلطان على النفوس. وان القول « بالله » « والسماء » على رأي احد فلاسفة النشوء «ليس سوى آلة للدفاع تختلف في شكلها فتقطع عن اوهام المعتوهين». وعندهم ان بثّ هذه الافكار والاراء يهدم الخلق الاميركي

على ان اكبر ما يعترض به على هذا الموقف هو قلة الفائدة التي تجنى منهُ. فما من عمل ساعد على زيادة الاهتمام باراء اصحاب النشوء مثل السعي لمنعها. والشبيبة الاميركية بنوع خاص تنفر ممن يسعى ليحبس عنها اثار شجرة العلم وكلُّ عمل من هذا القبيل يرهف قابليتها للاقبال عليها. ويجب الاَّ ننسى ان في اميركا مئات من الشبان والشابات اخذوا يتعاطون الخمرة سرًّا بعد ما كانوا لا يحلمون بتعاطيها حينما كان شربها مباحاً قبل صدور قانون المنع. كذلك ينتظر ان نرى مئات من الشبان الذين كانوا يهتمون بالالعاب الرياضية على اختلافها يحولون اهتمامهم الى مسائل النشوء ويصيرون من اتباع اصحابها

والطريقة الوحيدة الفعالة لمقاومة الرأي الميكانيكي المادي هي ان ننتقدهُ انتقاداً متقناً مبنيًّا على المبادىء الكمالية. وهذه هي الطريقة التي اتبعت في انكلترا ..... ومن اكبر انصارها هكسلي الذي وقف موقف اللاادريين معترفاً ان علاقة العقل بالجسم فوق ما يستطيعهُ العلم. وقد ارتقى هذا النقد بعد هكسلي ارتقاء عظيما فنجم عن ذلك ان كل الناس في بلاد الانكليز ومنهم قسوس الكنيسة سلموا بصحة مذهب النشوء من غير ان يقبلوا الرأي الميكانيكي في الحياة والكون. فليعتبر بذلك اخواننا «الاصوليون» في اميركا

رأي الدكتور بارنز

رئيس اساقفة برمنغهام

ان التعصب القائم على الجهل الذي حدا بالولايات الغربية من الولايات المتحدة الاميركية الى منع التعليم بمذهب النشوء في مدارس الحكومة تعصب ذميم. واني لاربأ

نفسي كرجل يقدر الحرية الفكرية عن ان ارى جماعة الجمهوكسونية تحاول ان تمنع نشر المعارف بالتشريح . واحزن شديد الحزن كمسيحي صميم حين اشاهد حركة غايتها مقاومة الوصول الى فائدة معقولة للدين المسيحي . ان الادلة القاطعة المجمعة اقنعت كل عالم بيولوجي بأنه لا في العالم المتمدن ان الانسان نشأ من اصل شبيه بالقرد . وكل مسيحي مستنير في بلاد الانكليز يعتقد ان النشوء هو الاسلوب الذي جرى عليه الله في خلق الانسان . وكل لاهوتي معروف هنا يسلم بصحة هذا الرأي . ان هذا التسليم يعزز مقام المسيحية لانه يجعل الاساس الروحي الذي تستمده من السيد المسيح اساساً معقولاً الى حد الاقناع

مهما بالغنا في العصمة والسفسطة لم نستطع ان نحول جانباً من تعاليم السيد المسيح على ما هي مثبتة في العهد الجديد حتى نستخرج منها رأياً يقول بان ما ذكر في سفر التكوين عن الخلق صحيح بحرفه . لقد نسي الاصوليون ان الكتاب المقدس كنز من الحقائق الروحية لا كتاب علم للتدريس . لقد نسوا المعتقد المسيحي القائل ان الروح القدس لا يزال يبعث الناس على ان يوسعوا افهامهم لكي يدركوا الحق . انهم يخافون خطأً ادراك الحق لان ذلك في رأيهم يضعف المعتقد المسيحي المبني على الوحي . والنتيجة الواحدة التي لا بدّ ان تنتج عن مقاومتهم للعلم باسم الدين في اغراء الوف من طلبة المدارس الاحداث بالتخلي عن المسيحية حاسبين خطأً انها مرتبطة كل الارتباط بالجهل والغباوة

رأي السر ارثر كيث

استاذ التشريح بكلية الجراحين الملكية بلندن وامين متحفها

« يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ما يفعلون » اردد هذا القول في خشوع واحترام بعد ما قضيت العمر في درس جسد الانسان لاذكر اهل النص بقول السيد المسيح الذي يدّعون انهم من اتباعه لانه اذا حققت مطالبهم اصبح تعليم التشريح نظاماً محكماً من الرياء والخداع . في كل عبارة يفوه بها استاذ التشريح ايّاً كان يجني على الحق جناية كبرى اذا اضطرّ ان يبني تعليمهُ وخطبهُ على الفصل الاول من سفر التكوين . واذا منع التعليم بمذهب النشوء وجب كذلك ان يمنع تعليم علم التشريح وما اليه من العلوم التي تدور على نمو جسم الانسان لان نمو الجسم يثبت ان مذهب النشوء مذهب صحيح . كذلك يجب ان نمنع التشريح العملي لان كلّ احد سواء كان معلماً او تلميذاً تتجلى لهُ الحقيقة واضحة حين يشرّح جسم الانسان ويقابلهُ باجسام القردة والسعادين

ما من قيد سوى السجن المؤبد يمنع الباحثين من البحث في الآثار الجيولوجية وكشف ما في الارض من تاريخ مسهب للنبات والحيوان والانسان . وكل هذه الآثار تؤيد صحة مذهب الشوء . فاذا اردنا ان ننفي مذهب داروين وجب ان نحو من سطر الوجود كل الآثار المتحجرة التي تركها الانسان الاول والاحياء التي كانت صلة بين الانسان والقرد وما كتب عنها من الكتب والمباحث . وجب علينا ان نجمع كل الادوات الظرانية التي استنبطها الانسان القديم واستخدمها لقضاء حاجاته واتفق العلماء الباحثون جهداً كبيراً في جمعها وتبويبها وجب ان نحملها ونرميها في قعر البحر لان هذه الشهود الصامتة فيها تاريخ للرجل والمرأة يرتد عشرات الالوف من السنين قبل عهد آدم

واذا جعلنا الكتاب المقدس مقياساً للعلوم وجب ان نمنع علماء الآثار من الذهاب الى مصر والعراق والتنقيب في اطلالها لانهم يرجعون باعلام التاريخ الى ابعد مما تسمح به التوراة . ووجب علينا ان نعود الى علم التنجيم فنجعله محل علم الفلك والى علم الكيمياء القديمة بدلاً من الكيمياء الحديثة وان نعلم التلاميذ ان الشمس والقمر يدوران حول الارض

ان الناس الذين يحاولون تحقيق هذه الامور لا يعلمون ماذا يفعلون انهم لا يعرفون الارض التي يقطنون فيها والا لما فضلوا ان يرتدوا بالحضارة الى عهد تخطته منذ اربعة آلاف سنة الى عهد كان معلو التشريح يقولون فيه لتلاميذهم ان حواء صنعت من ضلع آدم الثانية عشرة

رأي الاستاذ ارنست بارکر

رئيس كلية الملك بلندن

الى اي مدى يستطيع الرأي العام في دولة من الدول كما يعبر عنه مجلسها التشريعي ان يسيطر على التعليم وبرنامج الدروس في المدارس والجامعات ؟ يتراءى لي انه قد يحق لدولة من الدول ان تسيطر على برنامج العلوم التي تعلم في مدارسها ولكن لا يحق لها في حال من الاحوال ان تسيطر على ما يعلَّم في هذا العلم او ذاك والسبب بسيط المنال . الغاية من التعليم تنبيهُ القوى العقلية وتدريبها وما من معلم يستطيع ان ينبه عقول تلاميذه ويدربها الا اذا استعمل عقله حراً من القيود فاذا علَّم المعلم ما يؤمر بتعليمه كان هو وتلاميذه كالآلة هو ينقل ما قيل له ان ينقله وهم يقبلونه من غير بحث او مناقشة وكان

العلم والتعليم سطحيين . ومتى قيد المعلم كذلك فقد احترامهُ لنفسه وما لهُ من المقام والكرامة في نفوس تلاميذه واذا فقد مقامهُ في نفوسهم عجز عن التأثير في عقولهم . التعليم يتوقف على اشتراك المعلم والتلميذ في البحث اشتراكاً حرًّا هو يعلّم ما يليق عليهِ الفكر والبحث وهم ينقادون اليهِ لما في تدريبهِ من قوة فيتمكن من قيادتهم في سبل البحث والتنقيب ولا يستطيع احد ان يقود غيره اذا لم يكن كلامهُ خارجاً من اعماق نفسهِ

ان روح الحرية الذي اوجد المجالس النيابية وهو روح حياتها يجب ان يمنعها من القضاء على روح الحرية الذي نفخ في معاهد التعليم وصار روح حياتها ايضاً

اننا لا نستطيع ان نملي على مجلس تشريعي مستقل ما يجب ان يسنهُ من القوانين. كذلك لا نستطيع ان نعين لجامعة من الجامعات ما يجب ان يعلّم فيها. الرأي العام قوة عظيمة ولكن لا نستطيع تكوين رأي عام ناضج من غير مناقشة ولا مناقشة صحيحة من غير تعليم صحيح حرّ . فاذا حاول مجلس من المجالس التشريعية ان يقضي على حرية التعليم قضى على نفسهِ لانهُ قائم على حرية القول . واذا سعى الرأي العام لطمس حرية الفكر والقول طمس صوتهُ القوي لان الرأي العام ينشأ من حرية التفكير والقول وما من دولة دمقراطية تقدر ان تقضي على الحرية او تخمد حرية الفكر من غير ان تقضي على ذاتها وتخمد شعلة حياتها

***

وسننشر في الجزء القادم آراء الاستاذ اليوت سمث استاذ التشريح في كلية لندن الجامعة ، والاستاذ صلّس استاذ الجيولوجيا في جامعة اكسفورد والاستاذ سدني هكسن استاذ علم الحيوان في جامعة منشستر والاستاذ ستانلي جاردنر استاذ علم الحيوان وتشريح المقابلة في جامعة كمبردج وغيرهم من اساطين العلم